

البداية والنهاية

عن وجه الأرض أمر أن يهبط إليها هو ومن معه مباركا عليه وعليهم وقال اﷻ تعالى اهبطوا مصرا فإن لكم ما سألتم الآية وقال تعالى وإن منها لما يهبط من خشية اﷻ الآية وفي الأحاديث واللغة من هذا كثير .

قالوا ولا مانع بل هو الواقع أن الجنة التي أسكنها آدم كانت مرتفعة عن سائر بقاع الأرض ذات أشجار وثمار وظلال ونعيم ونضرة وسرور كما قال تعالى إن لك أن لا تجوع فيها ولا تعرى أي لا يذل باطنك بالجوع ولا تظلمك بالحرى وإنك لا تطمأ فيها ولا تضحى أي لا يمس باطنك حر الطمأ ولا تظلمك حر الشمس ولهذا قرن بين هذا وهذا وبين هذا وهذا لما بينهما من الملايمة فلما كان منه ما كان من أكله من الشجرة التي نهى عنها أهبط إلى أرض الشقاء والتعب والنصب والكدر والسعي والنكد والابتلاء والاختبار والامتحان واختلاف السكان دينا وأخلاقا وأعمالا وقصودا وإرادات وأقوالا وأفعالا كما قال تعالى ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين ولا يلزم من هذا أنهم كانوا في السماء كما قال تعالى وقلنا من بعده لبني إسرائيل اسكنوا الأرض فإذا جاء وعد الآخرة جئنا بكم لفيها ومعلوم أنهم كانوا فيها لم يكونوا في السماء . قالوا وليس هذا القول مفرعا على قول من ينكر وجود الجنة والنار اليوم ولا تلازم بينهما فكل من حكى عنه هذا القول من السلف وأكثر الخلف ممن يثبت وجود الجنة والنار اليوم كما دلت عليه الآيات والأحاديث الصحاح كما سيأتي إيرادها في موضعها واﷻ سبحانه وتعالى أعلم بالصواب .

وقوله تعالى فأزلهما الشيطان عنها أي عن الجنة فأخرجهما مما كانا فيه أي من النعيم والنضرة والسرور إلى دار التعب والكدر والنكد وذلك بما وسوس لهما وزينه في صدورهما كما قال تعالى فوسوس لهما الشيطان ليبدي لهما ما ووري عنهما من سوءاتهما وقال ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة إلا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين يقول ما يقول ما نهاكما عن أكل هذه الشجرة إلا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين أي ولو أكلتما منها لصرتما كذلك وقاسمهما أي حلف لهما على ذلك إني لكما لمن الناصحين كما قال في الآية الأخرى فوسوس إليه الشيطان قال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى أي هل أدلك على الشجرة التي إذا أكلت منها حصل لك الخلد فيما أنت فيه من النعيم واستمرت في ملك لا يبلى ولا ينقضي وهذا من التغرير والتزوير والإخبار بخلاف الواقع .

والمقصود أن قوله شجرة الخلد التي إذا أكلت منها خلدت وقد تكون هي الشجرة التي قال الإمام أحمد حدثنا عبدالرحمن بن مهدي حدثنا شعبة عن أبي الضحاك سمعت أبا هريرة يقول قال

رسول ﷺ ان في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها شجرة الخلد وكذا رواه أيضا عن غندر وحجاج عن شعبة ورواه أبو داود الطيالسي في مسنده عن شعبة أيضا به